المعالم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولية الفردية

د.عبدالله عطية الله الأحمدي

أستاذ أصول التربية المشارك

كلية الدراسات العليا التربوية، جامعة الملك عبدالعزيز

الملخص:

هدفت الدّراسة إلى: تحديد مفهوم تزكية النفس، وبيان أهميتها، والكشف عن القيم التربوية لتزكية النفس، وتوضيح المضامين التربوية المرتبطة بتزكية النفس، وذكر وسائل تزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وأظهرت نتائج الدراسة: أهمية تزكية الإنسان لنفسه، وأنها سبب لفلاحه في الدنيا والآخرة، وأن المعالم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولية الفردية تناولت مجموعة من قيم تزكية النفس، ومضامين تربوية متعلقة بها، وأساليب تزكيتها. وأن قيم تزكية النفس التي تم استنباطها من آيات المسؤولية الفردية هي: الشكر، والوفاء، والصبر، والإنفاق، والزهد. وأن المضامين التربوية لتزكية النفس التي تم استنباطها من آيات المسؤولية الفردية كما يلي: أن تزكية النفس فضل من الله عزوجل، وأن تزكية النفس مسؤولية فردية، وأن الإنسان لديه قدرة على تزكية نفسه وتأديبها، وأن التزكية تعبر عن الجانب العملي للتعليم، وأن اتباع الوحي أساس في تزكية النفس. وأن الوسائل التربوية لتزكية النفس التي تم استنباطها من آيات المسؤولية الفردية كما يلي: التعرف على أسماء الله وصفاته، وقراءة القرآن الكريم، وطلب تزكية النفس من الله عزوجل، ومجاهدة النفس، والمحافظة على إقامة الصلاة، وتذكر لقاء الله يوم القيامة، وكثرة الاستغفار والتوبة إلى الله عزوجل، والإقدام على العمل الصالح والبعد عن السيئات. وتحصيل العلم النافع، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات في ضوء ما توصلت إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: المعالم التربوية، تزكية النفس، المسؤولية الفردية .

Educational Milestones for Self-Purification In Light of the Verses of Individual Responsibility

Dr.Abdullah Attiatallah Al-Ahmadi

Associate Professor of Pedagogy at the College of Educational

Postgraduate Studies - King Abdul-Aziz University

Abstract:

This study aimed to; define the concept of self-purification, explain its significance, reveal the educational values of self-purification, explain the educational implications associated with self-purification, and to mention the means of self-purification in light of the verses of individual responsibility. The study used the descriptive methodology.

The study concluded a set of results, they are as follows: The significance of self-purification, and that it is a reason for people's success in this world and the hereafter, and that the educational milestones of self-purification in light of the verses of individual responsibility dealt with a set of values of self-purification, educational implications related therewith, and ways of its purification. The values of self-purification that were deduced from the verses of individual responsibility are as follows: gratitude, loyalty, patience, spending, and asceticism. The educational implications of self-purification that were deduced from the verses of individual responsibility are as follows: self-purification is a favor from Allah, the Almighty, and that self-purification is an individual responsibility, and that a person has the ability of self-purification and discipline, and that purification expresses the practical aspect of education, and that following revelation is the basis of self-purification. The educational means for self-purification that were deduced from the verses of individual responsibility are as follows: Being acquainted with Allah's names and attributes, reciting the Holy Qur'an, asking for self-purification from Allah, the Almighty, striving for self-control, maintaining of prayer performance, remembering the meeting with Allah, the Almighty in the Day of Resurrection, asking for forgiveness and repenting to Allah, the Almighty, performing good deeds and staying away from bad deeds, and gaining beneficial knowledge. The study also proposed a set of recommendations in light of its concluded results.

Keywords: Educational milestones, self-purification, individual responsibility.

المقدمة:

إن التربية هي أساس تنشئة الأفراد، وهي وسيلة لتحقيق صلاحهم، وتعمل على تربيتهم من جميع الجوانب، لتحقيق تربية متوازنة شاملة، وهذا مما يميز التربية الإسلامية التي تستمد أصولها من كتاب الله العظيم، وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

وإن رسالة الإسلام رسالة علم وبناء وحضارة، ورسالة خير، وحملة الرسالة هم خير أمة أخرجت ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ويحتم على هذه الأمة اليوم أن تعود بمنهج تزكية النفس حتى تحافظ على كيانها، وتوجد لنا مجتمع معافى صالح ليس له شبيه في العالم، متحلياً بالفضائل، ومتخلياً عن الرذائل. (محمد،٢٠١٩، ١٦٦).

" ولقد تناول القرآن الكريم النفس الإنسانية من خلال نظرته العامة للإنسان باعتباره كائناً مكرماً على سائر المخلوقات وآياته الكبرى، وسعادته في الدنيا والآخرة موقوفة على مدى تأديبها، وتزكيتها كما أن تعاسته وشقاءه منوط بفسادها وخبثها" (مجادبة، ٢٠١٨، ٤).

ومن أعظم ما يقوم الإنسان مع نفسه هو تزكيتها، والرقى بها في سلم الفلاح، في جميع الجوانب، ويتحقق بذلك ما ذكره الله عزوجل في قوله: ﴿ قَدْ أَفلَحَ مَنْ تزَكَّى﴾ [الأعلى:١٤]، قال (السعدي،٢٠٠٠، ٣٨١/٨): " قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق"، وقال (ابن كثير،١٩٩٩، ٣٨١/٨): "أي: طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه"، وقد كان النبي ﷺ كما ثبت عنه يدعوا الله فيقول: (اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها) (مسلم،د ت، ٢٠٨٨/٤) .

ومن هنا فإن " غاية إنزال الله كلام الله تعالى هو تزكية النفس وتطهيرها والرقي بها إلى مقام الإحسان، ويؤكد ذلك وقوع قوله تعالى: ﴿ قد أفلح من

زكاها﴾[الشمس:٩]بعد قسم الله على ذلك مرات عديدة لم يقسم على شيء من القرآن بمثل ما أقسم على تزكية النفس" (الفريح، ٢٠٢١، ٣٠).

"فللتزكية أهمية كبرى وبالغة في تقويم حياة الأفراد وتنظيم سلوك المجتمعات والمحافظة على تمييز الذات، حيث لا تستقيم الأمور دونها، ولا يمكن أن تنهض الأمة نهضة متكاملة تجمع بين الإنسانية والربانية، ولا أن تبني حضارة قوية واعدة تهدي البشرية الحائرة وتخرجها من مشكلاتها لتحقق لها التقدم والرقي والازدهار والأمن والأمان إلا عن طريق التزكية" (أحمد، ٢٠٢٠، ٩).

و"إن بزكاة النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة" (الأصفهاني، ١٤١٦، ٦٦٠).

وتعتبر تزكية النفس من المسؤولية الفردية التي يتحمل أمرها كل إنسان، ولا يقبل منه أن يُلقي باللائمة على غيره، كما سيتضح في ثنيا هذا البحث.

وقد اهتم العلماء في القديم والحديث بتزكية النفوس، من خلال تأليف الكتب، لتحقيق هذا المنال العظيم، لمافيه صلاح الدنيا والآخرة، وما يتبعه من استقامة الأفراد، واستقامة المجتمعات، وبناء الحضارات وفق توجيهات الإسلام.

وتحتاج تزكية النفس إلى التعرف على مجموعة من المفاهيم، والقيم، والوسائل المعينة على تزكيتها، لكي تساهم في تسهيل هذه المهمة السامية، وتعمل كموجهات للمؤسسات التعليمية، والأسرة، والمربين عند بناء برامجهم التربوية، وهو ما يسعى إليه هذا البحث بما ييسره الله سبحانه وتعالى.

مشكلة الدراسة:

إن تزكية النفس هو جانب تربوي مهم، يجب على كلَّ مسلم أن يجتهد إلى تحقيقه وتحصيله، وآيات القرآن الكريم تؤكد على أهمية ذلك، وأثنت على من يقوم به، ورتبت عليه الفلاح، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ قَدْ أَفلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩]، وقد دلت الآيات العطرات أن الله عزوجل أرسل الرسل لتحقيق هذه التزكية؛ لما فيها من استقامة الإنسان على الخلق القويم، وقد بين ذلك (ابن القيم، ١٩٧٣، ٣١٥/٢)، فقال: "تزكية النفوس مسلَّم إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها

وجعلها على أيديهم دعوةً وتعليماً وبياناً وإرشاداً، لا خَلْقَاً ولا إلهاماً فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، قال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾". وقد بين (السعدي،٢٠٠٠ ، ٨٦٢) المراد بقوله سبحانه:" ﴿وَيزَكِّيهِمْ﴾ بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة".

وتعتبر تزكية النفس جزء من المسؤولية الفردية التي تجب على كل مسلم أن يقوم بها، ويعمل بنفسه، ويجتهد في تحقيق هذه التزكية بالوسائل والطرق التي تحقق ذلك.

والمتأمل في النصوص الشرعية التي وردت في تزكية النفس يجد أنها تأتي بالضمائر التي تؤكد على فلاح النفس ذاتها عند حصول التزكية، وفي ذات الوقت المتأمل في النصوص الشرعية في القرآن الكريم التي تشير إلى المسؤولية الفردية يجد أنها احتوت على ذات الضمائر في آياتها، مما يؤكد على عناية التوجيهات التربوية في هذه النصوص باجتهاد المسلم بتزكية نفسه من منطلق المسؤولية الفردية التي يقف الفرد من خلالها بين يديه ربه فيحاسبه، لذلك قال عزوجل:﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يوْمَ الْقِيَامَةِ فرْدًا﴾ [مريم:٩٥]، " أي: لا أولاد، ولا مال، ولا أنصار، ليس معه إلا عمله، فيجازيه الله ويوفيه حسابه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر" (السعدي،٢٠٠٠، ٥٠١).

وقد أكدت العديد من الدراسات على أهمية إجراء دراسات علمية حول تزكية النفس، منها دراسة الفريح(٢٠٢١) التي أكدت أنه لا بد من قيام الباحثين في القرآن بمزيد أبحاث ودراسات حول كل ما من شأنه تحصيل تزكية النفس وتطهيرها وتنميتها بكلام الله تعالى، كما أكدت دراسة أحمد (٢٠٢٠) على تطوير وتجديد علم التزكية بما يتناسب مع روح العصر ولغته، وبما فيه من مضامين يتعلق بها علم التزكية، وأن الموضوع لا يزال يتسع للدراسة والبحث لأنه واسع وشامل لحياة الإنسان وحركته في الحياة ومصيره بعد الممات.

ومن هنا أحب الباحث أن ينطلق في موضوع تزكية النفس من خلال الآيات القرآنية التي تتناول المسؤولية الفردية، ليتم من خلالها استنباط المعالم التربوية التي

وردت في هذه الآيات جميعاً لتكون سبيلاً لتزكية النفس، وتحقيق فلاحها في الدنيا والآخرة.

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما المعالم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولية الفردية؟

ويتفرع من التساؤل الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما مفهوم تزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية؟

٢. ما القيم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية؟

٣. ما المضامين التربوية المرتبطة بتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية؟

٤. ما وسائل تزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية؟

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحديد مفهوم تزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية.

٢. الكشف عن القيم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية.

٣. توضيح المضامين التربوية المرتبطة بتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية.

٤. بيان وسائل تزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية.

أهمية الدراسة :

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما يلي:

الأهمية النظرية : قد تسهم هذه الدراسة في إثراء الأدب التربوي في أصول التربية، من خلال السعي لتأصيل جانب مهم يتعلق بفلاح الإنسان في الدنيا والآخرة وهو تزكية النفس، والتنبيه على جانب المسؤولية الفردية في ذلك والذي لا يعفى منه من أحد من أهل التكليف، كما تأتي الأهمية النظرية من تحقيقها لجانب التكامل في النظر في نصوص القرآن الكريم المتعلقة بتزكية النفس و المسؤولية الفردية.

الأهمية التطبيقية : قد تساهم هذه الدراسة في تقديم جوانب عملية تكشف من خلالها عن الجوانب المعينة على تزكية النفس ابتداء بالتنبيه على المسؤولية الفردية،

ومروراً بالقيم والأساليب المعينة على تزكية النفس، كما تساهم في تحديد قيم تزكية النفس ووسائل تحقيقها والمضامين المعينة على ذلك، كما تساهم في بناء البرامج والأدلة العملية للمربين في جميع المؤسسات التربوية والتعليمية لما يتعلق بتزكية النفس، كما تأتي أهمية هذه الدراسة في الجانب التطبيقي من استدامة مطلب تزكية النفس طوال عمر الإنسان، حيث تمثل درجات عالية يسعى المؤمن إلى تحقيقها من خلال الإقبال على الطاعات، والبعد عن المعاصي والشهوات.

مصطلحات الدراسة :

التزكية اصطلاحاً هي: (انتزاع ما هو غير مرغوب فيه، وتعزيز ما هو مرغوب فيه، فهي إذن تعديل السلوك بلغة العصر الحديثة).(الكيلاني، ١٤٠٥، ٤١).

وعرف (الجرجاني، ١٩٨٣، ٧٠٥) فقال: " النفس الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية".

وتزكية النفس اصطلاحاً هي: "انتزاع ما هو غير مرغوب فيه، وتعزيز ما هو مرغوب فيه، فهي إذن تعديل السلوك بلغة العصر الحديثة).(الكيلاني، ١٤٠٥، ٤١).

ويراد بالتزكية إجرائياً: اجتهاد المسلم في فعل المأمور وترك المحذور لكل ما فيه فلاح النفس في الدنيا والآخرة.

المسؤولية الفردية: هي " حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته، يقال أنا بريء من مسؤولية هذا العمل وتطلق (أخلاقيا) على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، وتطلق (قانونا) على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقا لقانون"(مصطفى وآخرون، ب ت، ٤١١/١).

والمراد بالمسؤولية الفردية في البحث: مسؤولية الفرد نحو تزكية نفسه وتحقيق فلاحها.

ويراد بالمعالم التربوية في البحث: ما يتم استنباطه من قيم ومضامين ووسائل تربوية مرتبطة بتزكية النفس من خلال آيات المسؤولية الفردية.

منهج الدراسة :

سيستخدم الباحث المنهج الوصفي، لأنه هو المنهج المناسب لهذه الدراسة .

والمنهج الوصفي هو المنهج الذي "يسعى إلى جمع البيانات إمَّا لاختبار صحة الفرضيات التي تصف الوضع الحالي للفرد موضوع الدراسة أو للإجابة عن الأسئلة المتصلة بذلك"(عدس،١٩٩٢،١٠)، وسيقوم الباحث باستنباط المعالم التربوية لتزكية النفس من خلال تحليل الآيات العطرات المباركات التي تناولت المسؤولية الفردية للإجابة عن أسئلة الدراسة.

حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة على تحديد المعالم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولية الفردية من القرآن الكريم وما جاء في سياق الآيات قبلها وبعدها والمرتبط بها.

وتم تحديد آيات المسؤولية الفردية التالية:

م	الآية الكريم	رقم الآية	اسم السورة
١	﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾	١١١	النساء
٢	﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾	١٠٤	الأنعام
٣	﴿ فمّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾	٩٢	النمل
٤	﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾	٦	العنكبوت
٥	﴿ وَمَنْ يشكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾	١٢	لقمان
٦	﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾	١٨	فاطر
٧	﴿ مّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾	١٥	الجاثية
٨	﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾	٣٨	محمد
٩	﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾	١٠	الفتح

الدراسات السابقة :

اطلع الباحث على مجموعة من الدراسات، ولم يقف - حسب اطلاعه المتواضع - على دراسة تناولت المعالم التربوية لتزكية النفس من بعد يرتبط بآيات المسؤولية الفردية، ويمكن عرض الدراسات السابقة من خلال ما يلي:

دراسة الفريح (٢٠٢١) التي هدفت إلى تعزيز العناية بمعرفة غاية إنزال القرآن الكريم وأنها تزكية النفس، والاهتمام بتزكية النفس من خلال تأمل كلام الله تعالى، والوقوف على جوانب وأساليب تعظيم الله لنفسه في كلامه العظيم، وأثرها على القلب والنفس، وتعريف قارئ القرآن بكيفية تحصيل تزكية النفس من خلال تلاوة كلام الله تعالى، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وكان من أبرز نتائج البحث: أن الغاية من إنزال القرآن الكريم هو تزكية النفس، وتطهيرها من المعصية، وتنميتها بالطاعة، وأهمية العناية بتزكية النفس من خلال تأمل عظمة الله تعالى في كتابه، أن تزكية النفس بتعظيم الله تعالى باب لكل خير وفلاح، وأن أول منازل تربية الطالب على تلقي كلام الله تعالى هو تزكيته بتعظيم ربه من خلال آيات تعظيم الله تعالى ووصفه ذاته سبحانه، وضرورة العناية بمجالس تزكية النفس بكلام الله تعالى.

وجاءت دراسة الزعبي (٢٠٢١) لتهدف إلى الكشف عن درجة تضمين قيم تزكية النفس في مبحث التربية الإسلامية للصف التاسع الأساسي في الأردن، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال احتوت على (٣٠) فقرة، وتكونت عينة الدراسة من مبحث التربية الإسلامية للصف التاسع الأساسي، وأظهرت نتائج الدراسة: أن المقرر تضمن (٣٤٠) تكرار لقيم تزكية النفس، وجاءت قيمة حسن الخلق لدى الفرد المسلم في المرتبة الأولى بتكرار قدره (٣٧)، وقيمة أنشطة لاصفية تدعو إلى سماع محاضرات لتزكية النفس من العلماء بالمرتبة الأخيرة دون تكرار.

بينما هدفت دراسة الرفاعي (٢٠٢٠) إلى بيان المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، واستخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: إن من الأهداف الكبرى لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر الفوز برضا الله تعالى والنعيم في

الآخرة، وإن من أبرز القواعد في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر إن الوحي الإلهي يشكل المصدر الرئيس للتوجيهات التزكوية الرشيدة الموصلة للفوز باليوم الآخر، ومن الأساليب في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر أسلوب المفاضلة الجزائية والموازنة العقلية بين الدنيا و الآخرة، وقدمت الدراسة أبعاد تزكية الجانب الفكري والوجداني والعملي للنفس الإنسانية.

وهدفت دراسة أحمد (٢٠٢٠) إلى توضيح معنى التزكية، وأثر التربية على المواطنة والهوية، والأدوار المنوطة بعلم التزكية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وتوصل إلى عدة نتائج: أهمية غرس قيم المواطنة والهوية المنبثقة من ثقافة المجتمع، وتربية أفراد المجتمع عليها، وأن ذلك يعد من أهم العوامل الداعمة لتعزيز الإحساس بالانتماء للأمة وللوطن، وأنه يكمن دور علم التزكية في دراسة ومعالجة أي أمر يخل أو يزعزع أو يضعف روح المواطنة والهوية، وأن التربية على المواطنة والهوية هي حصيلة مجموعة من الجهود التي تقوم بها مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، التعليمية وغير التعليمية.

وجاءت دراسة محمد (٢٠١٩) لتهدف إلى تعريف تزكية النفس، وأهداف تزكية النفس، وبيان فضل تزكية النفس، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وكانت من نتائج الدراسة: أن العمل على تطهير النفس من أخلاقها الرذيلة كالرياء، والعجب، والشح، والبخل، تزكية النفس من الأدران والأوصاف الذميمة، ربط التزكية بخالقها، اطمئنان القلب إلى جميل صنع الله .

وهدفت دراسة العيسى (٢٠١٩) إلى معرفة الصفات المذمومة للإنسان الواردة في القرآن الكريم، ومفهومها، وسبل تزكية الإنسان منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية، واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستدلالي والوصفي الوثائقي، وكان من أهم نتائج الدراسة: أن الصفات المذمومة للإنسان الواردة في القرآن الكريم هي: الضعف، اليأس والقنوط، الجحود لنعم الله، كثرة الظلم للنفس، الجدل والخصومة، العجلة، البخل، الجهل، الهلع والجزع، الطغيان)، ومن نتائج الدراسة: التزكية من الضعف من خلال الزواج والمجاهدة، ومن اليأس والقنوط بحسن الظن

بالله وسعة رحمته، ومن الجحود لنعم الله بالإقرار بالمنعم ودوام الشكر له، ومن البخل بمجاهدة النفس على الجود، ومن الجهل بالتعلم.

بينما هدفت دراسة مجادبة (٢٠١٨) إلى بيان ماهية النفس، وتوضيح أساليب تزكية النفس لترقى إلى مقام الصالحين والصديقين، واعتدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، منها: أن للنفس حالات ومقامات منها الفطري كحب العدل والصدق، أن شعائر الإسلام وعباداته تركز على علاج النفس وترقيتها، وأن الذكر من أبرز اساليب تزكية النفس، وأن التزكية الحقيقية للنفس الإنسانية يصل إليها المؤمن باستفراغ جهده في التدين بدين لله.

وهدفت دراسة العرفج (٢٠١٨) إلى إلقاء الضوء على مفهوم تزكية النفس، وبيان مكانتها بين مقاصد القرآن الكريم، ويكشف عن ثمرتها، ووسائل تزكية النفس، وربطها بمقاصدها، واستخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: إن مفهوم تزكية النفس دار بين معنى تطهيرها عن كل ما لا ينبغي، وزيادتها وإنماؤها في وجوه الخير والبر، وتكامل وسائل تزكية النفس في القرآن، حيث حققت أصل تزكيتها من تطهيرها من أوضار الشرك والمعاصي، وزيادة إنماؤها من كل برٍّ وصلة، وعظم مكانة التزكية وموقعها بين مقاصد القرآن الكريم الكلية، حيث كانت من مقاصد بعثة الأنبياء والرسل مرتبطة بها، وتعدد ثمراتها ونفعها على العبد في دينه ودنياه وآخرته.

وجاءت دراسة صالح (٢٠١٦) التي هدفت إلى إبراز غاية التكليف وهي تزكية النفس من الهوى، وبيان أعظم مقاصد البعثة وهو جانب التزكية، وبيان الصراع القائم في النفس البشرية، وإظهار جذر التقوى باتقاء المحارم وانتقاء المكارم، واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، وتوصل الباحث إلى عدة نتائج منها: أن الشريعة إنما جاءت بكل هديها وهداها لإحياء هذه النفوس وتجريدها من سلطان الهوى، وتخصيصها بالهدى، فكانت الشريعة المكلفة هي من رحمة الله بالمكلف لما فيها من تمكينه من أسباب الفوز بالتزكية.

التعليق على الدراسات السابقة :

من خلال استعراض الدراسات السابقة فقد اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في دراستها لتزكية النفس، وتناول بعض المفاهيم في إطارها النظري، كما اتفقت معها في استخدام المنهج الوصفي، وقد اتفقت مع دراسة (الفريح،٢٠٢١) ودراسة (العيسى،٢٠١٩) ودراسة (العرفج، ٢٠١٨) في تناول التزكية في جوانب تتعلق بالقرآن الكريم، في حين اختلفت عن دراسة (الفريح، ٢٠٢١) في تناول التزكية من خلال تعظيم الله عزوجل، ودراسة (الزعبي،٢٠٢١) التي تناولت الكشف عن درجة تضمين قيم التزكية في مقرر التربية الإسلامية للصف التاسع في الأردن والتي اعتمدت على تحليل المحتوى، ودراسة (الرفاعي، ٢٠٢٠) التي ركزت على تزكية النفس من الاعتقاد باليوم الآخر، ودراسة (أحمد، ٢٠٢٠) التي تناولت أثر التزكية على المواطنة والهوية، ودراسة (محمد، ٢٠١٩) التي تناولت تزكية النفس بشكل عام في بيان فضلها وأهدافها، ودراسة (العيسى،٢٠١٩) التي تناولت الصفات المذمومة في القرآن وسبل التزكية منها، ودراسة (مجادبة،٢٠١٨) التي تناولت تزكية النفس من حيث ماهية النفس وأساليب تزكيتها، ودراسة (العرفج، ٢٠١٨) التي تناولت تزكية النفس من حيث مقاصدها في القرآن الكريم، ودراسة (صالح،٢٠١٦) التي تناولت تزكية النفس من حيث غاية التكليف وهي تزكية النفس عن الهوى وبيان مقاصد البعثة وبيان الصراع في النفس البشرية. وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في الإطار النظري.

وتميزت الدراسة الحالية بتناول تزكية النفس من بعدين: الأول يتعلق بآيات تزكية النفس، والثاني آيات المسؤولية الفردية من كتاب الله العظيم، ومحاولة الربط بينهما والوصول إلى مجموعة من القيم والمضامين والوسائل المرتبطة بتزكية النفس.

تزكية النفس في ضوء آيات المسؤولية الفردية: مدخل مفاهيمي:

مفهوم تزكية النفس:

الزَّكَاءُ بالمدّ النماء والزيادة، يقال (زَكَا) الزرع، والأرض (تزْكُو) (زُكُوًّا) من باب قعد، و سمي القدر المخرج من المال (زَكَاةً) لأنه سبب يرجى به الزكاء، و (زَكَا) الرجل (يزْكُو) إذا صلح و (زَكَّيتُهُ) بالتثقيل نسبته إلى (الزَّكَاءِ) وهو الصلاح والرجل (زَكِيٌّ) والجمع (أَزْكِيَاءٌ). (الفيومي، ب ت، ٢٥٤/١). كلُّ شيء يزداد وينْمي فهو يزْكو زكاء وتقول هذا الأَمر لا يزْكو بفلان زَكاء أَي لا يليق به، وأرض زكية طيبة، وزكى نفسه أي مدحها. (ابن منظور، ١٤١٤، ٣٥٨/١٤).

ويظهر من خلال ما سبق أن كلمة التزكية تحمل عدة معاني تتناول: النماء والزيادة، والبركة، والصلاح، والمدح، والطيب، والترفع عن الرذائل من الأفعال.

والتزكية في القرآن الكريم لها عدة معان، منها المعنى الذي يظهر من آيات هذه الدراسة، حيث جاءت بمعنى هداية النفس وتنميتها وتطهيرها وإصلاحها بالطاعة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : (قَدْ أَفلَحَ مَنْ تزَكَّى﴾ [الأعلى:١٤]، والمعنى "أي: طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه" (ابن كثير، ١٩٩٩، ٣٨١/٨).

واصطلاحاً: "التزكية إكساب الزكاة وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم"(الجرجاني، ١٩٨٣، ١٧٤).

وهناك ارتباط بين التزكية في اللغة والاصطلاح، فالتزكية في الاصطلاح تتضمن النماء، والصلاح، والابتعاد عن كل مافيه منقصة، وقد أشار إلى الارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي شيخ الإسلام (بن تيمية،١٩٩٥، ٩٦/١٠) حيث بين ذلك فقال: "الزكاة في اللغة " النماء والزيادة في الصلاح، يقال : زكا الشيء إذا نما في الصلاح فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح كما يحتاج البدن أن يربى بالأغذية المصلحة له ولا بد مع ذلك من منع ما يضره فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ومنع ما يضره كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره وكذلك الزرع لا يزكو إلا بهذا".

ومن خلال ما سبق يتضح أن " للتزكية معنيين، التنقية، وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة، لهذين الأمرين"(السعدي،٢٠٠٠ ،٥٠٩).

وهذا يؤكد أن تزكية النفس تتناول الفعل والترك، فعل الخيرات، وترك المنكرات، وبهما تحصل التزكية، وآيات المسؤولية الفردية تؤكد ذلك بما ذكرته من فعل للأعمال الصالحة، وما لمحت به من واجب الترك للسيئات، وأن الفائدة تعود على نفس الفرد من خلال هذين الأمرين معاً، كما جاء في قوله سبحانه:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فعَلَيهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] .

والنفس في اللغة تأتي لعدة معان منها: "النَّفْسُ : الرُّوحُ وخَرَجَتْ نَفْسُهُ، والدَّمُ: ما لا نَفْسَ له سائِلَةٌ لا يُنَجّسُ الماء، والجَسَدُ، والعَيْنُ" (الزاوي، ١٩٧٩، ٤١٣/٤). و"قال أَبو إِسحق النَّفْس في كلام العرب يجري على ضربين أَحدهما قولك خَرَجَتْ نَفْس فلان أَي رُوحُه وفي نفس فلان أَن يفعل كذا وكذا أَي في رُوعِه والضَّرْب الآخر مَعْنى النَّفْس فيه مَعْنى جُمْلَةِ الشيء وحقيقته تقول قتَل فلانٌ نَفْسَه وأَهلك نفسه أَي أَوْقَتَ الإِهْلاك بذاته كلِّها وحقيقتِه والجمع من كل ذلك أَنْفُس" (ابن منظور، ١٤١٤، ٢٣٣/٦).

والنفس اصطلاحاً: " النفس الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية" (الجرجاني، ١٩٨٣، ٧٠٥)، ويعرفها شيخ الإسلام بن تيمية بأنها: ذات الشيء وعينه، حيث قال:" ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيداً نفسه وعينه، وقد قال تعالى : ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾[المائدة:١١٦]"(ابن تيمية، ٢٠٠٥، ٢٩٢/٩). وفي ذات السياق السابق يبين شيخ الإسلام أن الروح تطلق على النفس إذا فارقت البدن. وجاء في شرح العقيدة الطحاوية: " أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الرُّوح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متَّصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجرَّدة فتسمية الروح أغلب عليها"(أبوالعز، ١٩٨٤، ٣٩٤).

ومن خلال ما سبق يتبين أن معنى النفس هو إطلاق النفس على مكوناتها القائمة حال حيات الإنسان من الروح والجسد بجميع مكوناته.

أما مصطلح تزكية النفس المركب من المفردتين السابقتين، فهو يحمل المعنيين معاً ويتركب منهما، ما يشير إلى تطهير هذه النفس من الرذائل، والرفعة بها إلى المعالي.

وقد عُرِّفت تزكية النفس بأنها:" إصلاح النفوس وتطهيرها عن طريق العلم النافع، والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات" (العبداللطيف، ١٤١٤، ٥٧).

كما عُرِّفت بأنها" سلسلة من الإجراءات التطهيرية والإصلاحية والتنموية لذات الإنسان بمكوناتها الباطنة والظاهرة والمادية والمعنوية، بهدف الوصول إلى الكمال الإنساني والترقي في مراتب الإحسان، من خلال عملية تخلية الذائل والشهوات وتحلية بفضائل الأوصاف والأخلاق، المنضبطة بالتصور الإسلامي الرباني" (الرفاعي، ٢٠٢٠، ٢٥).

وجميع التعاريف السابقة تتفق بأن تزكية النفس تكمن في مجاهدة النفس وتربيتها على التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بفعل المأمور، وترك المحظور.

أهمية تزكية النفس:

تظهر أهمية تزكية النفس من خلال النصوص الشرعية التي تناولت تزكية النفس، والتي تبين أن نتيجة هذه التزكية هو الفلاح في الدنيا والآخرة، وأنها سبب لدخول الجنة، وخلاص النفس من عذاب الآخرة.

وآيات المسؤولية الفردية وما تحويه من قيم ومضامين تؤكد على أهمية التزكية؛ لما تحمله عمومية معنى التزكية من فعل الخير وترك الشر، ويأتي النص القرآني الكريم بأهمية التزكية من خلال إسناد مسؤوليتها للإنسان نفسه، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ تزَكَّى فَإِنَّمَا يتزَكَّى لِنفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨]، وأطلق القرطبي على التزكية هنا من الإنسان لنفسه بالهداية مؤكداً على معنى المسؤولية الفردية للعبد في ذلك، فقال:" قوله تعالى : ﴿ ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه" (القرطبي، ١٩٦٧، ١٤/٢٩٤).

ومن أظهر ما يؤكد أهمية تزكية النفس أنها من مهمات الرسل، وقد امتنَّ الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بإرسال نبيه محمد ﷺ وقيامه بمهمة التزكية، قال

عزوجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]. وهذه المنَّة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، ويزكيهم من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق.(السعدي،٢٠٠٠، ١٥٥).

ومما يؤكد على أهمية تزكية النفس أنها كانت جواباً لعدة أقسام من الله عزوجل، والله سبحانه إذا أقسم علي شيء دل على عظمته، كما في سورة الشمس ، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) والنَّهار إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) ونفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:١ -١٠]، وجواب القسم ﴿قد أفلح من زكاها﴾ " أي فاز بالمطلوب" (ابن عثيمين، ١٤٣٨، ٣١/٤). وأكد ذلك الفلاح بقد التي تفيد التأكيد. وهذا التأكيد لفلاح من يزكي نفسه تكرر في قوله سبحانه :﴿ قَدْ أَفلَحَ مَنْ تزَكَّى ﴾ [الأعلى:١٤]، " وأفلح مأخوذ من الفلاح، والفلاح كلمة جامعة، وهو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، فهي كلمة جامعة لكل خير، دافعة لكل شر" (ابن عثيمين، ١٤٣٨، ١٢٦/٣).

ومن أهمية التزكية أن الجنة وهي مطلب كل مسلم، هي جزاء من تزكى، قال عزوجل:﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تزَكَّى ﴾[طه:٧٦]،والمراد أن الجزاء هو دخوله الجنة إذا "تطهر من الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إما أن لا يفعلها بالكلية، أو يتوب مما فعله منها، وزكى أيضا نفسه، ونماها بالإيمان والعمل الصالح" (السعدي،٢٠٠٠ ،٥٠٩).

ومن أهمية تزكية النفس أنها العبارة المختصرة التي تتحقق معها الاستجابة والطاعة والانقياد لله، وهي حبل النجاة، لذلك جاء في أمر الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى _عليه السلام_ أن يطلب من فرعون أن يتزكى، قال سبحانه: ﴿ اذْهَبْ إِلَى

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فتَخْشَى﴾ [النازعات:١٧ -١٩]. "أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟"(السعدي، ٢٠٠٠، ٩٠٩).

ومن أهمية التزكية أن النبي ﷺ كان يدعو الله عزوجل ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا تستجاب) (مسلم،د ت، ٢٠٨٨/٤). "زكِّها يعني طهرها بتأديبك إياها كما يؤدب المولى عبيد" (القاري، 2001، ٣٥٨/٨).

وقد "اهتم السلف الصالح بتزكية النفوس ، واعتنوا بالجانب السلوكي والأخلاقي علماً وفقهاً ، كما حققوه عملاً وهدياً، فأفردوا كتباً مستقلة في الزهد والرقائق ونحوهما، بل إن أئمة السلف يوردون الصفات السلوكية والأخلاقية لأهل السنة في ثنايا كتب العقيدة" (العبداللطيف،١٤١٤، ٣)

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية تزكية النفس لما يترتب عليها من فلاح العبد في الدنيا والآخرة، أمَّا في الدنيا لما يتحقق من امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى، والتزام المسلم بالأخلاقيات الفاضلة التي جاء بها الإسلام، وما يترتب على ذلك من صلاح المجتمع بأسره، وتحقق استقراره، وأمَّا في الآخرة فيكفيها تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى، ودخول الجنة، والخلاص من النار، وهذا أعظم مطلوب، وهو ما بشر به الأنبياء والمرسلين، نسأل الله من فضله.

المسؤولية الفردية :

المسؤولية في اللغة مصدر من " سأَلَ يَسأَل، اسْأَلْ سَلْ، سُؤالاً وتَسْآلاً، فهو سائِل، والمفعول مَسْئول، سأل فلانًا: حاسبَه ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ "(عمر،٢٠٠٨،٢/١٠١٩).

وجاء في تعريف المسؤولية اصطلاحاً أنها:" شعور الإنسان بالتزامه أخلاقياً بنتائج أعماله الإرادية فيحاسب عليها إن خيراً وإن شراً" (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٣، ١٨٢).

كما عرفت بأنها: " أهلية الشخص أن يكون مطالباً شرعاً بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ومحاسباً عليها" (الحلبين، ١٩٩٦، ٧١).

" وتتردد كلمة المسؤولية الفردية على ألسنة الناس بمختلف شرائحهم ومراتبهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ولعل كثرة استعمالها اليوم يعود إلى القوانين التي انتشرت اليوم والتي أكثرت من التفريق بين المسؤولية المدنية والمسؤولية الجنائية، أو من جانب آخر بين المسؤولية الأدبية والمسؤولية القانونية، بوصفها أحد مدخلات الفكر السياسي أو السياسة الشرعية، وفق المنظور الإسلامي" (الصرمي، ٢٠١٥، ٤).

والآيات المباركات التي تمثل المسؤولية الفردية متعددة والتي سبق بيان جزء منها في ثنايا البحث، منها قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت:٤٦]،وجاء تفسير الآية الكريمة من علماء التفسير بما يتضمن المسؤولية الفردية لأعمال العبد التي يقدم عليها، ومن ذلك ماقاله الألوسي: " ﴿ فَلِنَفْسِهِ﴾ أي فلنفسه يعمله أو فلنفسه نفعه لا لغيره" (الألوسي، ب ت، ٢١٤/١٨).

وهناك العديد من الآيات التي تؤكد على تحمل الإنسان لأوزاره دون أوزار غيره، وتلفت الانتباه إلى جانب هذه المسؤولية، ومن ذلك قول الحق عزوجل:﴿ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا ولاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤]، ومعنى الآية الكريمة:" ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا﴾ لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمه على الجاني، ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره" (البغوي،١٩٩٧، ٢١٢/٣).

ومن أعظم ما يعض النفس ويربيها في تحمل المسؤولية الفردية، ما جاء في القرآن الكريم من وقوف العبد بين يدي ربه لوحده ليحاسبه على أعماله، قال عزوجل:﴿ إِنْ

كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ -٩٥]، قال السعدي في تفسير هذه الآيات: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ أي: ذليلاً منقاداً، ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ أي: لقد أحاط علمه بالخلائق كلهم، أهل السماوات والأرض، وأحصاهم وأحصى أعمالهم، فلا يضل ولا ينسى، ولا تخفى عليه خافية.﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ أي: لا أولاد، ولا مال، ولا أنصار، ليس معه إلا عمله، فيجازيه الله ويوفيه حسابه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[الأنعام:٩٤](السعدي، ٢٠٠٠، ٥٠١).

ولا تزال الآيات الكريمات في كتاب الله عزوجل تعزز هذا المفهوم لمسؤولية الفرد عن أعماله بصور مختلفة، وطرائق متنوعة، ومن ذلك: قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]، "أي: كاملا موفراً لم ينقص مثقال ذرة، كما قال تعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾[الزلزلة:٧] والخير: اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة صغيرها وكبيرها، كما أن السوء اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها وكبيرها، ﴿ وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا ﴾[آل عمران:٣٠] أي: مسافة بعيدة، لعظم أسفها وشدة حزنها، فليحذر العبد من أعمال السوء التي لا بد أن يحزن عليها أشد الحزن، وليتركها وقت الإمكان" (السعدي،٢٠٠٠، ١٢٨).

ومما يؤكد هذه المسؤولية من السنة النبوية ما جاء في الحديث القدسي عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) (مسلم، ب ت، ١٩٩٤/٤).

ومن خلال ما سبق تتأكد المسؤولية في الإسلام بما يقوم به الفرد، وأنه يسأل عنه يوم القيامة، ولا يسأل عن عمل غيره، وتربي هذه المعاني في النفس اهتمام الفرد بأعماله، والاجتهاد على إصلاحها وتزكيتها، والرقي في سلم الأعمال، والبعد عن

سيَّئها، استعداداً للمثول بين يدي ربَّ العالمين فيسأل عن القطمير والفتيل، والجدير بالذكر أن مصلحة اهتمام الفرد بنفسه، لا تقف ذات الفرد، بل لها آثار وانعكاسات على المجتمع بأسره، لما يتضمنه من القيام بحقوق الأفراد والمجتمع، ويعمل ذلك على استقراره.

المعالم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولية الفردية :

أولاً : القيم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية :

تهتم التربية الإسلامية بموضوع القيم؛ وذلك نابع من اهتمام نصوص الشارع الحكيم بها، ولما لها من أثر كبير على السلوك وتوجيهها، وأظهرت آيات المسؤولية الفردية مجموعة من القيم المرتبطة بتزكية النفس من خلال نصوصها، لتبين على أهمية هذه القيم في ذلك، والمتأمل فيها يجد أنها تساهم في قدرة الإنسان على تزكية نفسه، ويؤكد ذلك عناية النصوص الشرعية بهذه القيم، وذكرها في سياق مصحوب بصلاح النفس واستقامتها كما سيأتي بيانه خلال العرض التالي:

قيمة الشكر:

تعتبر قيمة الشكر من القيم العظيمة، وتتضمن معاني تربوية كبيرة، وقد جاءت هذه القيمة في آيات المسؤولية الفردية في آيتين، وذلك يدل على أهمية هذه القيمة، وعلى اهتمام القرآن الكريم بها، ولما لها من الأثر البالغ على الفرد. وشكر العبد لله على فضله يتضمن اعترافه بهذا الفضل من جهة، وإظهاره للضعف والحاجة إلى الله عزوجل من جهة أخرى.

والآية الأولى: التي جاء فيها الشكر، قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[النمل:٤٠]، وأكد ابن عاشور عند تفسير هذه الآية الكريمة على هذه القيمة، وأنها حكمة أخلاقية، حيث قال: " وضرب حكمة خُلقية دينية وهي: ﴿ من شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كَفر فإن ربي غني كريم ﴾؛ فكل متقرب إلى الله بعمل صالح يجب أن يستحضر أن عمله إنما هو لنفسه

يرجو به ثواب الله ورضاه في الآخرة ويرجو دوام التفضل من الله عليه في الدنيا ، فالنفع حاصل له في الدارين ولا ينتفع الله بشيء من ذلك".

وأما الآية الثانية: فهي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢]، وجاء في تفسيرها عند (الخطيب، ١٩٦٤، ٥٠٠) ما يؤكد على أهمية الشكر ومكانته، حيث قال: " ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ وشكر الله تعالى: أساس الإيمان، ورأس الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره عائد عليها ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فلم يشكر أنعُمَ الله تعالى عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن عبادته، وعن شكره".

وامتثال قيمة الشكر لها آثار عظيمة في تزكية النفس، لأن الاعتراف بالفضل يولد في النفس الشعور بالفضل من الله، كما تولد الحياء من مقابلة النعمة بالكفران، فترقى معها النفس في المعالي، ويصحبها شكر عملي في جانب الطاعة. كما أن من عظيم أثر الشكر نماء النعمة وزيادتها، كما قال عزوجل:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

٢. قيمة الوفاء:

قيمة الوفاء من القيم الخفية، والتي يظهر أثرها في سلوك الفرد، وتم استنباطها من آيات المسؤولية الفردية في قول الحق عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠]، والآية الكريمة في سياقها تحمل المؤمنين على امتثال هذه القيمة، قال (السعدي، ٢٠٠٠، ٧٩٢) عند تفسير الآية:" هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي ﴿بيعة الرضوان﴾ التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفروا، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم ﴿ يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ ويعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: كأنهم بايعوا الله وصافحوه بتلك المبايعة، وكل هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها، ولهذا قال:

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ فلم يف بما عاهد الله عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: لأن وبال ذلك راجع إليه".

إن قيمة الوفاء من القيم التي ترتبط بالضمائر، وبما يخفيه الإنسان في قلبه، وقد نبه على ذلك (ابن كثير، ١٩٩٩، ٣٢٩/٧) عند تفسير هذه الآيات، وجاء فيما ذكر " ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله".

والإسلام يربي المجتمع على القيم بأساليب مختلفة، وطرق متنوعة، لذلك الأدلة في نصوص الشارع كثيرة في قيمة الوفاء، ومنها ماربط بين قيمة الوفاء وقيمة المسؤولية بما يؤكد هذا المعنى في سياق البحث، كما قال عزوجل:﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾ [الإسراء:٣٤].

إن قيمة الوفاء تساهم بشكل كبير في تزكية النفس، لأنها من القيم الخفية، والتي تعكس صدق الفرد، وخوفه من الله سبحانه وتعالى.

٣. قيمة الصبر:

قيمة الصبر من أكثر القيم التي جاءت في القرآن الكريم بامتثالها، وبأساليب مختلفة، لعظيم فضلها، وجزيل مثوبتها، وجني ثمارها في الدنيا والآخرة، وجاءت قيمة الصبر في سياق آيات المسؤولية الفردية كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[يونس:١٠٨ -١٠٩]، والشاهد من النصَّ القرآني الكريم، في سياق الآيات بالأمر باتباع الوحي والصبر على ذلك، وهو امتداد لما قبله المؤكد على استفادة الإنسان من اهتدائه، ثم أوصى بالصبر على ذلك، لأن تزكية النفس متنامية، وتحتاج إلى استمرار، وثبات، وتقدم في العمل، وكل ذلك يفتقر إلى الصبر، لذلك جاء في تفسير الآية عند (القرطبي، ١٩٦٧، ٣٤٥/٨)، في قوله:﴿ واتبع ما يوحى إليك واصبر ﴾ معناه اصبر على الطاعة وعن المعصية، ثم ذكر أن النبي ﷺ عند

نزول الآية الكريمة جمع الأنصار وقال لهم: (فإنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) (البخاري، ١٤٢٢، ٩٨/٤) (مسلم، ب ت، ٧٣٨/٢). والحديث الشريف يؤكد على الصبر على الطاعة مع وجود الفتن، فما كان من غيرها فهو أولى، وأن هذا الصبر مستمر حتى يختم للإنسان بالطاعة.

والصبر يتوافق مع مفهوم تزكية النفس كما سبق من فعل الخير وترك الشر، والصبر كذلك صبر على فعل الطاعة ، وصبر على ترك المعصية، قال (ابن القيم، ١٩٩٤، ٤٠٠):" الصبر ثلاثة أقسام إما صبر عن المعصية فلا يرتكبها، وإما صبر على الطاعة حتى يؤديها، وإما صبر على البلية فلا يشكو ربه فيها، وإن كان العبد لا بد له من واحد من هذه الثلاثة فالصبر لازم له أبداً لا خروج له عنه البتة".

٤. قيمة الإنفاق:

جاءت قيمة الإنفاق في سياق قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٨]، ومعنى الآية "﴿ها أنتم هؤلاء تدعون﴾ أي ها أنتم هؤلاء أيها المؤمنون تدعون ﴿لتنفقوا في سبيل الله﴾ أي في الجهاد وطريق الخير ﴿فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ أي على نفسه أي يمنعها الأجر والثواب ﴿والله الغني﴾ أي إنه ليس بمحتاج إلى أموالكم "(القرطبي، ١٩٦٧، ٢١٩/١٦).

والآيات التي تحث على الإنفاق في سبيل الله كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧]،وقد نص (المراغي، ب ت، ٣٨/٣) عند تفسير هذه الآية على دور الإنفاق في تزكية النفس، حيث قال: " بعد أن بين سبحانه ما يجب أن يتصف به المنفق عند البذل من الإخلاص للّه قصد تزكية النفس والبعد عن الرياء ، وما يجب أن يتحلى به بعد البذل من البعد".

ومما يؤكد على قيمة الإنفاق ودورها في تزكية النفس أن الله عزوجل جعل من البِّر الإنفاق من المال المحبوب إلى نفس المنفق، قال عزوجل:﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩١]، كما تتأكد أهمية قيمة الإنفاق في تزكية النفس ما جاء في تفسير هذه الآية عند (ابن عاشور، ١٩٩٧، ٥/٤) حيث قال: "وافتتاح الكلام ببيان بعض وسائل البرّ إيذَان بأنّ شرائع الإسلام تدور على مِحْور البرّ ، وأنّ البرّ معنى نفساني عظيم لا يخرِم حقيقته إلاّ ما يفضى إلى نقض أصل من أصول الاستقامة النَّفسانيّة".

٥. قيمة الزهد:

جاء في أول سياق آيات المسؤولية الفردية ما يكشف عن حقيقة الحياة الدنيا، وأنها لعب ولهو، وذلك للتزهيد فيها، وعدم الاغترار بها، ومعاني القرآن الكريم تظهر عند النظر إلى كل آية بمفردها، كما تتجلى معان أخرى عند الربط بين آياتها، وهنا يأتي دور التربية الإسلامية باستنباط هذه المعاني من كتاب الله الكريم، ومن هنا فإن هناك ارتباط بين قيمة الزهد الواردة في سياق آيات المسؤولية الفردية، وقيمة الزهد.

قال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[محمد:٣٦ -٣٨]، قال (السعدي،٢٠٠٠، ٧٩٠): " هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام

بشأنها" ومما لاشك فيه أن الانشغال بالدنيا، والإغراق في شهواتها، وما لافائدة منه، قد يؤخر في تحقيق مقصد تزكية النفس.

" والمتأمل في حال النبي ﷺ وتطبيقه لقيمة الزهد يجد أنه ﷺ قد بلغ أعلاها وذروة سنامها، قولاً وعملاً، فالمعصوم ﷺ بين في حياته العملية سواء الفردية والاجتماعية طرق ومسالك الزهد في الحياة، فأغنى المسلمين بما سنه لهم في ذلك عن اتباع غيره، وجعل حياته مقياساً صحيحاً تقاس به أنواع السلوك والأعمال والقيم" (الجدوع، ١٤٣٣، ٤).

والزهد معين على تحقيق مفهوم تزكية النفس وتحقيقها، من التفرغ للطاعات، والمسابقة في الخيرات، والترفع عن الرذائل، وقطع الطمع عما في أيدي الناس، إلى غير ذلك من معاني الزهد الصحيحة.

إن المتأمل في القيم السابقة يجد أن لها أثراً كبيراً في تزكية النفس، وقد أعدها (القاري، ٢٠٠١، ٢٨١/١) من أمهات تزكية النفس.

ثانياً : المضامين التربوية المرتبطة بتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية :

١. أن تزكية النفس فضل من الله عزوجل:

إن الله عزوجل هو المتفضل على عباده سبحانه وتعالى بكل خير هم فيه، ذلك منَّة منه وكرم وعطاء فله الحمد والشكر، والإنسان يجتهد لتزكية نفسه امتثالاً للنصوص، ثم التوفيق لحصول ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وجاء في سياق آيات المسؤولية الفردية ما يدل على فضل الله في التزكية بشكر الله على نعمه، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيبلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠].

وقد نصت آيات التزكية على ذلك كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١]، جاء في تفسير البغوي " أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد" (البغوي،١٩٩٧، ٢٦/٦).

وتؤكد آيات التزكية ذلك المعنى في مدلولاتها، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٨ -١٠] "قال ابن زيد: جعل فيها ذلك، يعني بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور" (البغوي، ١٩٩٧، ٤٣٨/٨).

ومؤكدات ذلك في القرآن الكريم كثيرة، منها قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلا ﴾ [النساء:٤٩]، "أي يطهر ويبري من الذنوب ويصلح" (البغوي، ١٩٩٧،٢/٢٣٤).

ودعاء النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح يؤكد هذا الفضل من الله، وأنَّ العبد فقير إلى كرم الله لهدايته لأحسن الأخلاق، حيث كان ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح : (واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت) (مسلم، ب ت، ٥٣٥/١).

قال: (القاري،٢٠٠١، ٣٣٦/٣ -٣٣٧) في شرح هذا الحديث: " واهدني أي دلني ووفقني وثبتني وأوصلني لأحسن الأخلاق في عبادتك وغيرها من الأخلاق الظاهرة والباطنة لا يهدي لأحسنها إلا أنت فإنك أنت الهادي المطلق وعجز الخلق أمر محقق واصرف عني أي أبعدني وامنعني واحفظني سيئها أي سيء الأخلاق لا يصرف عني فضلا عن غيري سيئها إلا أنت فإن غيرك غير قادر على شيء ".

واستشعار المؤمن لهذا الفضل من الله سبحانه وتعالى، يبقى الإنسان في دائرة الشكر لله، وإظهار الحاجة الدائمة له عزوجل، وافتقاره إلى فضله، ولها أثر آخر في تربية النفس على التواضع، وابعاد النفس عن الكبر، أو إعجاب الإنسان بنفسه، وهذا له دور كبير في صلاح الباطن والظاهر، نسأل الله من فضله.

٢. أن تزكية النفس مسؤولية فردية:

إن المتأمل في آيات المسؤولية الفردية يجد أنها تعيد المسؤولية في جميع الأمور في فعل الخير أو الشر، على ذات الإنسان، مثل قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[النساء:١١١]، أو قوله تعالى:﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾[النمل:٤٠﴾، ثم تأتي آيات التزكية لتؤكد ذات المعنى في المسؤولية الفردية في التزكية نفسها،

قال عزوجل:﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾[فاطر:١٨]، وجميع ذلك يؤكد على المسؤولية الفردية في تزكية الإنسان لنفسه، فلا يقبل من أحد إلقاء اللوم على الآخرين.

وقد جاءت الآيات التي تصف بعض مشاهد يوم القيامة لتؤكد هذه المسؤولية، كما جاء في تبري الشيطان ممن اتبعه، قال عزوجل: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وجاء في معنى الآية: " ﴿وَلُومُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ على تغفلكم وعدم حرصكم" (الخطيب، ١٩٦٤، ٣٠٧/١)، كما جاء في تفسيرها " ﴿وَلُومُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ إبطال لإفراده باللوم أو لابتداء توجيه الملام إليه في حين أنهم أجدر باللوم أو بابتداء توجيهه" (ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢١٩/١٣).

ومن خلال ما سبق يتبين أن الإنسان هو المسؤول عن نفسه، وأن عليه أن يسعى إلى فلاحها ونجاتها في الدنيا والآخرة من خلال تزكيتها.

٣. أن الإنسان لديه قدرة على تزكية نفسه وتأديبها:

وهذا الأمر ظاهر في آيات التزكية، لأن الله عزوجل لا يأمر بما لا طاقة للعبد به، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون:٦٢]، وفي هذه الآية الكريمة "يقول تعالى مخبرًا عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا: أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، أي: إلا ما تطيق حمله والقيام به، وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء"(ابن كثير،١٣٩٣، ٣١٥/٢).

كما تأتي آيات المسؤولية الفردية جميعها لتؤكد هذا المعنى، من خلال إعادة المصلحة لذات الإنسان، بما يدل على قدرته في سلوك طريق التزكية، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الأنعام:١٠٤].

وقد بين ابن القيم: أن تزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، والرسل أطباء القلوب فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم وعلى أيديهم وبمحض الانقياد والتسليم، فإن قلت : هل يمكن أن يقع الخُلق كسبياً أو هو أمر خارج

عن الكسب، قلت : يمكن أن يقع كسبياً بالتخلق والتكلف حتى يصير له سجية وملكة، واستدل بقول النبي ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: إن فيك لخلقين يحبهما الله : الحلم والأناة فقال : أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما فقال : بل جبلك الله عليهما فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله.(مسلم، ب ت، ٤٨/١)، فدل على أن من الخُلُقِ : ما هو طبيعة وجبلة وما هو مكتسب. (ابن القيم، ١٩٧٣، ٣١٥/٢).

٤. أن التزكية تعبر عن الجانب العملي للتعليم:

جاء اقتران التزكية بالتعليم في عدة آيات، منها قوله سبحانه وتعالى:﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]قال (السعدي، ٢٠٠٠، ٦٦):" ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ لفظا، وحفظا، وتحفيظا ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ، معنى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الردية، التي لا تزكي النفوس معها". وأكد هذا المعنى (ابن عاشور، ١٩٩٧، ٧٢٣/١) فقال عند تفسير هذه الآية: "وقد جاء ترتيب هذه الجمل في الذكر على حسب ترتيب وجودها، لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن، ثم يكون تعليم معانيه قال تعالى : ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إنَّ علينا بيانه﴾[القيامة:١٨ -١٩] العلم تحصل به التزكية، وهي في العمل بإرشاد القرآن" .

ومن الآيات التي قرنت بين التزكية والعلم قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفسِهِمْ يتلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، وقوله عزوجل: ﴿ هُوَ الَّذِي بعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنهُمْ يتلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

وتأتي آيات المسؤولية الفردية لتؤكد على الجانب العملي للعلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فعَلَيهَا ﴾ [الأنعام:١٠٤]، ومعنى الآية الكريمة" ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها ﴿ فَلِنفْسِهِ﴾ فإن الله هو الغني الحميد"(السعدي،٢٠٠٠، ٢٦٨).

ويؤكد هذا المعنى المرتبط بالجانب العملي للتزكية، اهتمام التربية الإسلامية بالجانب السلوكي التطبيقي الواقعي، كما تهتم بالجانب التأصيلي المتين المبني على كتاب الله وسنة النبي ﷺ ، ويظهر هذا جلياً في استعاذة النبي ﷺ من العلم الذي لا ينفع، حيث كان ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) (مسلم، ب ت ، ٢٠٨٨/٤) .

٥. أن اتباع الوحي أساس في تزكية النفس:

إن سياق آيات المسؤولية الفردية يظهر أهمية اتباع الوحي، وأنه أساس في تزكية النفس، وذلك في قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٨ -١٠٩]، فالآية الكريمة تناولت في خطابها للناس المسؤولية الفردية المتعلقة بالهداية، ثم جاء الخطاب للرسول ﷺ بالأمر باتباع الوحي، والناس أولى بهذا الاتباع، وأنه امتداد لطريق هداية النفس، قال (ابن كثير،١٩٩٩، ٣٠١/٤):" يقول تعالى آمراً لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن ضل عنه فإنما يرجع وبال ذلك عليه". والأمر للنبي ﷺ في اتباع الوحي جاء في آيات أخرى كقوله عزوجل:﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[الأحزاب:٢].

ويأتي اتباع الناس للوحي ليشمل القرآن الكريم، وما جاء عن النبي ﷺ في سنته، قال عزوجل:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣ -٤]، ومعنى: " ﴿إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره. ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:﴿وَأَنزلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[النساء:١١٣] وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى" (السعدي،٢٠٠٠، ٨١٨).

وآيات التزكية تؤكد هذا المعنى في اتباع النبي ﷺ وجعله قدوة لهم، وأنه سبب لتزكيتهم عند اتباعه فيما يأتي به من الوحي، قال عزوجل: ﴿هُوَ الَّذِي بعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنهُمْ يتلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، قال (القرطبي،١٩٦٧، ٨١/١٨):" ﴿يتلو عليهم آياته﴾ يعني القرآن، ﴿ويزكيهم﴾ أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان،... ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿ والحكمة﴾ السنة ".

وجيل الصحابة الكرام هم أطهر الأجيال، وأنقاهم قلوباً، وأكثرهم عملاً، ولحق نفوسهم من التزكية الشيء الكثير؛ لما كانوا عليه من اتباع وحي ربي العالمين، واقتدائهم برسول ربَّ العالمين، رضي الله عنهم أجمعين، و حشرنا الله في زمرتهم يوم الدين.

ثالثاً: وسائل تزكية النفس في ضوء آيات المسؤولة الفردية.

احتوت الآيات العطرات في المسؤولية الفردية وما جاء في سياقها مجموعة من وسائل تزكية النفس التي يمكن استنباطها، وتعتبر هذه الوسائل معينة على الأخذ بهذه النفس نحو معاليها في طاعة خالقها، كما أنها معينة على تربية الأفراد نحو تزكية نفوسهم، ومعينة لهم لتحقيق فلاحها، ومن هذه الوسائل ما يلي:

١. التعرف على أسماء الله وصفاته:

يتعرف المؤمن على خالقه من خلال أسمائه وصفاته التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ كما قرر ذلك العلماء، والتعرف على الله سبحانه وتعالى من خلال أسمائه وصفاته له أثر كبير على النفس وتزكيتها، ويجتهد العلماء بربط ما يرد من صفات الله عزوجل وأسمائه في أواخر الآيات بما يرد من دلالات في الآية نفسها.

و"معرفة الله سبحانه وتعالى أصل العبادة وأساسها، وينشأ عنها التعظيم الذي يزكي النفس ويطهر القلب من تعظيم ما سوا والخضوع له، ويخلصها لتعظيم الله، فتنشأ المحبة الخالصة لله تعالى وحده لا شريك له، ويحصل الخضوع التام" (الفريح، ٢٠٢١، ٢٩).

ومما يؤكد أن التعرف على أسماء وصفاته من وسائل التزكية، ماروي عن النبي ﷺ أنه قال: (ثلاث من فعلهنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام ولا يعطي الهَرمةَ ولا الدَّرنةَ، ولا الشَّرط اللائمة ولا المريضة ولكن من وسط أموالكم فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره وزكى عبد نفسه، فقال رجل : وما تزكية المرء نفسه يارسول الله؟ فقال : أن يعلم أن الله معه حيث ما كان) (البيهقي، ١٤١٠، ١٨٧/٣)، وصححه (الألباني،١٩٩٥، ١٢٠/٣).

وآيات المسؤولية الفردية احتوت على مجموعة كبيرة من هذه الأسماء والصفات التي تتناسب مع سياق الآيات في إصلاح النفس وتزكيتها، ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل:٤٠]، والشيخ السعدي عند تفسيره هذه الآية بدأ بماورد في آخر الآية من صفة الغنى لله عزوجل، كما قال: "﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ غني عن أعماله كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها وكفرها داع لزوالها" السعدي، ٢٠٠٠، ٦٠٥)، وعلم العبد بهذه الصفة لله عزوجل من دواعي تزكية نفسه، وتمسكه بشكر نعم الله عليه، وهكذا يتم ربط العلماء في جميع الآيات بين ما يرد من صفات لله وبين سياق الآيات لما لهما من اتصال ومعنى يحقق المراد من سياقها.

ومن هنا ينبغي الاهتمام بهذا الجانب عند تعليم القرآن الكريم، ليتحقق المراد من أثر القرآن في نفوس المتربين، ويبقى أثره في نفوسهم، مصاحباً لهم في حياتهم، ومعيناً على تزكية النفس عن الرذائل، والاستزادة من الفضائل.

١. قراءة القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، أنزله الله عزوجل على نبينا محمد ﷺ ليكون هادياً لهذه الأمة المحمدية لصراط الله المستقيم، وهو كتاب مبارك من جميع جوانبه، وأمرنا بتلاوته، والتفكر والتدبر في معانيه، والعمل بمقتضاه، قال عزوجل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ﴾[إبراهيم:١]،" يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة"(السعدي،٢٠٠٠، ٤٢١)، وهذا المعنى هو المراد من تزكية النفوس، وجاء كذلك في فضل القرآن الكريم، قول الحق عزوجل:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩]، و" المعنى هذا كتاب لمن أراد التمسك بالإيمان والقربة إلينا وفي هذه الآيات اقتضاب وإيجاز بديع حسب إعجاز القرآن العزيز ووصفه بالبركة لأن أجمعها فيه لأنه يورث الجنة وينقذ من النار ويحفظ المرء في حال الحياة الدنيا ويكون سبب رفعة شأنه في الحياة الآخرة" (ابن عطية، ١٩٩٣، ٥٧٢/٤).

وقد نصت آيات التزكية على كتاب الله عزوجل، كما في قوله تعالى:﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٥١].

وجاء ذكر القرآن الكريم في آيات المسؤولية الفردية مقترناً بالهداية ليتأكد دوره في تحقيق تزكية النفوس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[النمل:٩٢]، " وتلاوة القرآن معناها: متابعة قراءة آياته وسردها، وتكون هذه التلاوة سبب الاهتداء إلى كل خير" (الزحيلي، ١٤٢٢، ١٩٠٠/٢).

وينبغي على المؤمن أن يزكي نفسه بكتاب الله عزوجل، " ذلك أن النفس إذا زكت ارتفع انتفاعها بكلام الله تعالى، وكانت للاستجابة لأمر الله تعالى أقرب، وعلى تدبر كلام الله والاهتمام والعناية به أحرص وأرغب، وللعمل به أسرع وأسبق، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة:١٠ -١٢]، فمن تزكى وزكى سبق وارتقى، وأدرك رضوان الله وجناته، لكونه ربى نفسه بكلام ربه سبحانه وتعالى، فكان من المفلحين" (الفريح، ٢٠٢١، ٣٠).

ويؤكد شيخ الإسلام بن تيمية على أثر القرآن الكريم في تزكية النفس بقوله:" ويغتذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه ويقومه فإن زكاة القلب مثل نماء البدن" (ابن تيمية،١٩٩٥، ٩٦/١٠).

٣. طلب تزكية النفس من الله عزوجل:

إن طلب تزكية النفس من الله يراد به الدعاء، والإلحاح على الله بتزكية النفس، لأن تزكية النفس هي توفيق من الله عزوجل، وهداية منه، لذلك كان النبي ﷺ يدعوا الله ويقول: (اللهم آت نفسي تقواها و زكها أنت خير من زكاها أنت وليها و مولاها) (مسلم، ب ت، ٢٠٨٨/٤)، " (وزكها) طهرها من كل خلق ذميم (أنت خير من زكاها) أي من جعلها زاكية يعني لا مزكي لها إلا أنت فإنه تعالى هو الذي يزكي النفوس فتصير زاكية أي عاملة بالطاعة فالله هو المزكي والعبد هو المتزكي" (المناوي، ١٩٩٤، ١٩٤/٢).

وتوفيق الله للتزكية هو نوع من الهداية الوارد في آيات المسؤولية الفردية، كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس:١٠٨]، " قال القاضي أبو محمد فنسبة الهدى والضلال إلى البشر في هذه الآية إنما هي بالتكسب والحرص والحال التي يقع عليها الثواب والعقاب والكل أيضاً من الله تعالى" (ابن عطية،١٩٩٣، ٣٢٥/٤). ونفس المعنى في نسبة التزكية إلى العبد في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩]. قال (القاري، ٢٠٠١، ٣٢٥/٤) " دل على إن إسناد التزكية إلى النفس في الآية هو نسبة الكسب إلى العبد لا خلق الفعل له".

ومن خلال ما سبق يتضح أن من أعظم وسائل التزكية أن يطلب العبد من الله أن يزكي نفسه، وأنه إن لم يوفق العبد للتزكية فلا مزكي لها، وفي هذا تعليق للقلب بالله عزوجل وبهدايته وتوفيقه، وتأكيد للنفس إلى افتقارها إلى الله عزوجل، وإدامة الطلب والدعاء.

٤.مجاهدة النفس:

إن مجاهدة النفس من أهم وسائل تحقيق تزكية النفس، لأن التزكية تحتاج إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، وهذا أمر يحتاج إلى مجاهدة للنفس، وأكد ذلك ما جاء تفسير الآية الكريمة من آيات المسؤولية الفردية، من قول الحق عزوجل: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت:٦]، قال (السعدي، ٢٠٠٠، ٦٢٦): "وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد"، وجاء في تفسير الآية عند (القنوجي، ١٩٩٢، ١٦٧/١٠): "جاهد نفسه بالصبر على الطاعات، أو جاهد الشيطان بدفع وساوسه ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ أي ثواب ذلك له لا لغيره، ولا يرجع إلى الله سبحانه من نفع ذلك شيء"

وقال ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه) (الترمذي، ١٩٧٥، ١٦٥/٤) وصححه المحقق، ومعنى الحديث: جاهد " نفسه الأمارة بالسوء على ما فيه رضا الله من فعل الطاعات وتجنب المخالفات وجهادها أصل جهاد العدو الخارج فإنه ما لم يجاهد نفسه لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه لم يمكنه جهاد العدو الخارج" (المناوي، ١٩٩٤، ٣٤١/٦).

٥. المحافظة على إقامة الصلاة:

إن المحافظة على إقامة الصلاة من أعظم وسائل تزكية النفس، وذلك لعظيم قدر الصلاة، وما تحتويه من مقامات عظيمة، من قيام وركوع وسجود وتلاوة للقرآن ودعاء وغير ذلك، وهي صلة العبد بربه.

وقد جاء ذكر الصلاة في آيات المسؤولية الفردية مع ذكر التزكية، وهذا مزيد تأكيد على علاقة الصلاة بتزكية النفس، قال تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨]، " وأمره بإقامة الصلاة لأن الصلاة عمل عظيم ، وهذا الأمر يشمل الأمة فقد تكرر الأمر بإقامة الصلاة في آيات كثيرة، وعلل الأمر بإقامة الصلاة بالإشارة إلى

ما فيها من الصلاح النفساني فقال: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، فموقع (إن) هنا موقع فاء التعليل ولا شك أن هذا التعليل موجّه إلى الأمة لأن النبي ﷺ معصوم من الفحشاء والمنكر فاقتصر على تعليل الأمر بإقامة الصلاة دون تعليل الأمر بتلاوة القرآن لما في هذا الصلاح الذي جعله الله في الصلاة من سِرّ إلهي لا يهتدي إليه الناس إلا بإرشاد منه تعالى ؛ فأخبر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والمقصود أنها تنهى المصلي" (ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٥٨/٢٠)، والنهي عن المنكر هو أحد جناحي التزكية، وما في الصلاة من الذكر والدعاء وامتثال الأمر بإقامتها هو الجناح الثاني للتزكية من فعل العمل الصالح.

ومما يؤكد على أهمية الصلاة في صلاح الأمة عموماً، والأفراد خصوصاً وتزكية نفوسهم، أن الصلاة كانت من آخر ما أوصى به النبي ﷺ قبل وفاته، فقد جاء (عن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول ﷺ حين حضره الموت الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه) (ابن حنبل، ١٩٩٩، ٢٠٩/١٩) وصححه محقق الكتاب.

ومن هنا ينبغي الاهتمام بالصلاة، وتربية النفوس على المحافظة عليها، وإقامتها الإقامة الصحيحة بخشوعها، وطهورها، لكي تحقق التزكية، وما يتبعها من آثار عظيمة.

٦. تذكر لقاء الله يوم القيامة:

إن يقين العبد بلقاء الله سبحانه وتعالى يوم القيامة هو من أعظم أسباب تزكية النفس، لأنه سيبقى في دنياه على درجة كبيرة من الحذر في الوقوع فيما يسخط الله ، كما سيكون ذلك دافعاً لتحقيق مرضاته، والمتأمل في سور القرآن الكريم فإنه يجد الحديث عن يوم القيامة والحساب والجزاء وما يتبع ذلك من ملاقاة الله عزوجل كثيرة جداً جداً، وما ذاك إلا تنبيه للنفوس عن تلك المواقف، وتحذير لها من الغفلة عنها.

وآيات المسؤولية أوردت لقاء الله عزوجل في سياقها القريب بالنص، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت:٥ -٦]، " ومعنى الآية: أن من يخشى الله أو يأمله فليستعدّ له، وليعمل لذلك اليوم، كما قال: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا﴾ [الكهف:١١٠] "(البغوي، ١٩٩٧، ٢٣٣/٦).

إن التربية على هذا المعنى العظيم له أثر كبير في تزكية النفوس، لذلك يتم تعزيز تزكية النفس من خلال هذه الأساليب المختلفة، والتي جاء ذكرها كثيراً في القرآن الكريم، وما يزال المؤمن يقرأ هذه الآيات، ويسمعها فتترحك نفسه إلى مزيد من العمل، وترك ما له أثر على نفسه، فتحصل تزكية النفس بذلك.

٧. كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله عزوجل:

إن الاستغفار والتوبة يتضمنان الاعتراف بالذنب والتقصير من العبد، وجاء هذا الأسلوب الذي تم استنباطه في سياق آيات المسؤولية الفردية عند قول الحق عزوجل: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١٠ -١١١]، في هذه الآية " أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وَسَعة رحمته، ومغفرته، فمن أذنب ذنبا صغيراً كان أو كبيرًا ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال" (ابن كثير، ١٩٩٩، ٤٠٨/٢)، وقد نصت الآية على المسؤولية الفرد في اكتساب الإثم، وجاء في الآية التي قبلها التصريح بالاستغفار، وطلب العفو والتجاوز من الله عزوجل.

ومما لاشك فيه أن تزكية النفس تتضمن الاستغفار من الذنوب، والتوبة منها والإقلاع عنها، وقد جاءت آية التزكية بالانتباه من خطوات الشيطان التي تؤدي بالعبد إلى الوقوع في الذنب، كما قال عزوجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١]. والآيات العطرات في رحمة الله سبحانه وتعالى، وقبوله لتوبة عبادة التائبين كثيرة ومتعددة.

والاستغفار والتوبة هو هدي النبي ﷺ حيث قال: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (البخاري، ١٤٢٢، ٦٧/٨). " واستغفاره سبعين ليس لذنب لأنه معصوم بل لاعتقاد قصوره في العبودية عما يليق بحضرة ذي الجلال والإكرام وحث للأمة على التوبة والاستغفار فإنه مع كونه معصوما وكونه خير المخلوقات إذا استغفر وتاب إلى ربه في كل يوم أكثر من سبعين مرة فكيف بالمذنبين والاستغفار طلب المغفرة بالمقال والفعال جميعا والمغفرة من الله أن يصون العبد من أن يمسه عذاب" (القاري، ٢٠٠١، ١٥٩/٨).

٨. الإقدام على العمل الصالح والبعد عن السيئات:

إن العمل الصالح هو العنوان الواسع لتزكية النفس، ويقابله البعد عن السيئات، وآيات المسؤولية الفردية ذكرت العمل الصالح والبعد عن السيئات بالنص في آيتين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية:١٥]، وقوله سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ومعنى الآية الكريمة: "﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ﴾ وهو العمل الذي أمر اللّه به، ورسوله ﴿ فَلِنَفْسِهِ﴾ نفعه وثوابه في الدنيا والآخرة ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ ضرره وعقابه، في الدنيا والآخرة، وفي هذا حثٌّ على فعل الخير، وترك الشر، وانتفاع العاملين، بأعمالهم الحسنة، وضررهم بأعمالهم السيئة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فَيُحمِّل أحدًا فوق سيئاتهم" (السعدي،٢٠٠٠، ٧٥١).

وآيات التزكية كذلك نصت على فعل بعض الأعمال الصالحة، كما عرضت بعدم اتباع خطوات الشيطان وما يتبعها من استدراج لعمل السيئات كما مر في الآيات السابقة.

ونصوص الشارع الحكيم كثيرة جداً التي تذكر العمل الصالح، وبيان ثوابه، كما قال عزوجل:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، " هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من

بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت" (ابن كثير، ١٩٩٩، ٦٠١/٤). وعن فضل العمل الصالح قال ﷺ :(إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة) (البخاري، ١٤٢٢، ١٧٨/٥) (مسلم، ب ت ، ١٢٥١/٣).

والأعمال الصالحة واسعة جداً وكثيرة لا حصر لها، وبمفهومها الواسع تتناول جميع شؤون الحياة، وعلى المؤمن أن يجتهد في العمل الصالح لأنه كذلك سبب من أسباب تزكية النفس، ودخول الجنة أكرم الله الجميع بواسع كرمه وفضله.

٩. تحصيل العلم النافع:

جاء ذكر العلم في سياق آيات المسؤولية الفردية في قول الحق عزوجل: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١١ -١١٣]، الآيات فيها امتنان على النبي ﷺ بعد أن ذكر ما يقع من إثم وخطايا، وأنها تعود على ذات العاملين، وأن الفضل يعود إلى الله بحفظه ﷻ ثم ذكر من أسباب حفظه وهو العلم، وقد بين ذلك (السعدين٢٠٠٠، ٢٠٠) بقوله: "هذه نعمة كبيرة على رسوله صلى الله عليه وسلم تتضمن النعمة بالعمل، وهو التوفيق لفعل ما يجب، والعصمة له عن كل محرم. ثم ذكر نعمته عليه بالعلم فقال: ﴿ وَأَنزلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخِرين" . "وقال قتادة: علمه الله بيان الدنيا والآخرة وبين حلاله وحرامه ليحتج بذلك على خلقه" (القنوجي،١٩٩٢، ٢٣٦/٣).

وآيات تزكية النفس في القرآن الكريم نصت على العلم في عدة آيات منها قول الحق سبحانه:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]. "﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: علم القرآن وعلم السنة، المشتمل ذلك علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقًا، وأحسنهم هديًا وسمتًا، اهتدوا بأنفسهم" (السعدي، ٢٠٠٠، ٨٦٢).

والعلم فضله عظيم، وهو من أعظم أساليب التزكية، فكلما ازداد العبد علماً ازداد خشية وحصلت تزكية النفس، قال عزوجل﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨]، "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر".(ابن كثير،١٩٩٩، ٥٤٤/٦). ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ: (إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا) (البخاري،٤٢٢، ١٣/١)، جاء في الفتح: "وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله يخافون ربهم من فوقهم والأنبياء بقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله" (العسقلاني، ١٣٧٩، ٣١٣/١١).

لذلك ينبغي أن يهتم المربون بمجالس العلم التي تتلى فيه آية ويُتدبر في معانيها، ويقرأ حديثاً وتشرح معانيه، فالخير كل الخير في علم الوحي الكريم، وما يتبعه من العلوم التي تهدي إلى الله سبحانه وتعالى، وتزيد من معرفته سبحانه وتعالى، وبشرعه العظيم.

خلاصة النتائج :

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. أهمية تزكية الإنسان لنفسه وأنها سبب للفلاح في الدنيا والآخرة.

٢. أن المعالم التربوية لتزكية النفس في ضوء آيات المسؤولية الفردية تناولت مجموعة من قيم تزكية النفس، ومضامين تربوية متعلقة بها، وأساليب تزكيتها.

٣. أن قيم تزكية النفس التي تم استنباطها من آيات المسؤولية الفردية هي: الشكر، والوفاء، والصبر، والإنفاق، والزهد.

٤. أن المضامين التربوية لتزكية النفس التي تم استنباطها من آيات المسؤولية الفردية كما يلي:

- أن تزكية النفس فضل من الله عزوجل.
- أن تزكية النفس مسؤولية فردية.
- أن الإنسان لديه قدرة على تزكية نفسه وتأديبها.
- أن التزكية تعبر عن الجانب العملي للتعليم.
- أن اتباع الوحي أساس في تزكية النفس.

٥. أن الوسائل التربوية لتزكية النفس التي تم استنباطها من آيات المسؤولية الفردية كما يلي:

-التعرف على أسماء الله وصفاته.
- قراءة القرآن الكريم.
- طلب تزكية النفس من الله عزوجل.
- مجاهدة النفس.
- المحافظة على إقامة الصلاة.
- تذكر لقاء الله يوم القيامة.
-كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله عزوجل.
- الإقدام على العمل الصالح والبعد عن السيئات.
- تحصيل العلم النافع.

في ضوء نتائج الدراسة الحالية يوصي الباحث بما يلي:

١. العناية بمواضيع تزكية النفس وربطها بالمسؤولية الفردية من خلال خطب الجمع والمحاضرات ووسائل التواصل الاجتماعي.

٢. تضمين المقررات الدراسية في التعليم العام والجامعات بمواضيع تزكية النفس وربطها بالقرآن الكريم وآيات المسؤولية الفردية.

٣. عناية الأسرة في تربيتهم لأولادهم بمفاهيم تزكية النفس، وتوضيح ذلك لأبنائهم، وبيان أهميتها، وثمراتها في الدنيا والآخرة.

٤. إعداد البرامج التدريبية المتعلقة بقيم تزكية النفوس، وربطها بالقرآن الكريم، واستنباط وسائل التزكية منه.

مقترحات الدراسة:

- دراسة عن المعالم التربوية في السيرة النبوية لتزكية النفس.
- دراسة تحليلية لمقررات التعليم العام ومدى توافر قيم تزكية النفوس، وأساليب تحقيقها.
- دراسة عن درجة وعي المجتمع بأهمية تزكية النفس ومعرفتهم بقيمها، وأساليب تزكيتها.

المراجع:

١. أبوالعز، علي بن علي محمد الحنفي.(١٩٨٤). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني. ط٨، المكتب الإسلامي.

٢. أحمد، علي زواري. (٢٠٢٠) علم التزكية ودوره في التربية على المواطنة والهوية. مجلة الشباب. جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي. ٦ (٢) . ٥٥٩ - ٥٩٢.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي الدمشقي.(١٩٩٥). *مجموع الفتاوى*. جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤. ابن حنبل، أحمد محمد الشيباني. (١٩٩٩). مسند الإمام أحمد بن حنبل.ط٢. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة.

٥. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي.(١٩٩٣). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. دار الكتب العلمية. تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد.

٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله.(١٩٧٣). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق : محمد حامد الفقي. ط٢. دار الكتاب العربي – بيروت.

٧. المؤلف : ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢. دار طيبة للنشر والتوزيع.

٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله.(١٩٩٤). *طريق الهجرتين وباب السعادتين*. ط٢، دار ابن القيم، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

٩. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤). *لسان العرب، دار صادر*.

١٠. اصفهاني، حسين بن محمد بن راغي.(١٤١٦). *مفردات ألفاظ القرآن*

الكريم.تحقيق صفوان عدنان داوودي. دار القلم.

١١. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم(١٩٩٥).سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.ط١.الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

١٢. الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني.(ب ت). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. دار إحياء التراث العربي.

١٣. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (١٩٩٧). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية؛ وسليمان مسلم الحرش. ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين.(١٤١٠). *شعب الإيمان*. دار الكتب العلمية، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٥. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى. (١٩٧٥). سنن الترمذي.ط٢. تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ ومحمد فؤاد عبد الباقي؛ وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٦. الجدوع، سلمان بن حسين.(١٤٣٣). قيمة الزهد في الإسلام دراسة تأصيلية. [دراسة ما جستير غير منشورة].جامعة الإمام محمد بن سعود.

١٧. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (١٩٨٣). *التعريفات*.تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر.دار الكتب العلمية.

١٨. الحلبي، أحمد عبدالعزيز.(١٩٩٦). *المسؤولية الخلقية في الإسلام والجزاء عليها* . مكتبة الرشد.

١٩. الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف.(١٩٦٤). *أوضح التفاسير.ط٦* . المطبعة المصرية.

٢٠. الرفاعي، ابتهال عبدالله محمد. (٢٠٢٠). *المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وتطبيقاته في العملية التعليمية*. [رسالة دكتوراه

غير منشورة]. جامعة اليرموك.

٢١. الزاوي، الطاهر أحمد.(١٩٧٩). *ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و أساس البلاغة*.دار الكتاب العربي.

٢٢. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (١٤٢٢). *التفسير الوسيط*. دار الفكر.

٢٣. الزعبي، إبراهيم أحمد سلامة. (٢٠٢١). *درجة تضمين قيم تزكية النفس في مبحث " التربية الإسلامية للصف التاسع الأساسي في الأردن"* . [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة آل البيت بالأردن، المعهد العالي للدراسات الإسلامية.

٢٤. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (٢٠٠٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام لمنان.ط١.الرياض:مؤسسة الرسالة.

٢٥. صالح، لبيب محمد جبران. (٢٠١٦). الآيات المصرحة بمقاصد النبوة "التزكية": دراسة تحليلية بيانية. *مجلة جامعة طيبة*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ٥ (١٠). ٩١ -١٢٧.

٢٦. الصرمي، أحمد رزق.(٢٠١٥). المسؤولية: مفهومها - طبيعتها الفردية والاجتماعية وفق المنظور الإسلامي. *مجلة القلم*. جامعة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية. (٣) يونيو، ٣٤٥ -٣٨٥.

٢٧. عدس، عبدالرحمن (١٩٩٢).*أساسيات البحث التربوي*. عمَّان: دار الفرقان.

٢٨. عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر.(٢٠٠٨). *معجم اللغة العربية المعاصرة*.عالم الكتب

٢٩. العبداللطيف، عبدالعزيز بن محمد.(١٤١٤). *معالم في السلوك وتزكية النفوس*. دار الوطن.

٣٠. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد.(١٤٣٨). *لقاءات الباب المفتوح*. مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

٣١. العرفج، لبنى بنت خالد بن محمد.(٢٠١٨). وسائل تزكية النفس في القرآن الكريم. *مجلة تدبر*. ٢، (٤) أبريل. ١١ -٢٥.

٣٢. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل.(١٣٧٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة.

٣٣. العيسى، إبراهيم بن محمد بن عبدالله. (٢٠١٩). صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية. *مجلة كلية التربية*. جامعة أسيوط. ٣٥، (١) يناير، ١ -٣٠.

٣٤. *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. راجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

٣٥. الفريح، أحمد عبدالله محمد. (٢٠٢١) تزكية النفس بتعظيم الله تعالى في القرآن الكريم. *مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية*. ٧ (٢٦) مايو، ٢٢٠ - ٢٥٢.

٣٦. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي أبو العباس.(ب ت) . *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.

٣٧. القاري، الملا علي.(٢٠٠١). *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المفاتيح*. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٨. القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري.(١٩٦٧). الجامع لأحكام القرآن. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

٣٩. القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني لبخاري.(١٩٩٩٢).

٤٠. الكيلاني، ماجد عرسان.(١٤٠٥). *تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية*. مكتبة دار التراث.

٤١. محمد، حنان محمد فضل المولى.(٢٠١٩). تزكية النفس من خلال نصوص القرآن والسنة. *مجلة معالم الدعوة الإسلامية*. جامعة أم درمان. ١١، نوفمبر. ١٦٥ -١٨٦.

٤٢. مجادبة، كريمة.(٢٠١٨). أسس تزكية النفس الإنسانية. *مجلة البحث العلمي الإسلامي*. ١٣،(٣٠) ديسمبر. ٩ -٢٨.

٤٣. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.(١٩٨٣). *المعجم الفلسفي*. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

٤٤. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(د،ت) .*صحيح مسلم* ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي .

٤٥. مصطفى، إبراهيم؛ والزيات، أحمد؛ وعبدالقادر، حامد؛ والنجار، محمد.(ب ت). *المعجم الوسيط*. دار الدعوة. تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٤٦. المراغي، أحمد مصطفى.(ب ت). *تفسير المراغي*. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

٤٧. المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين.(١٩٩٤). فيض القدير شرح الجامع الصغير. دار الكتب العلمية.